مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
SUJHUS 2023 (آب), مجلد 1,عدد 1 ,الصفحات 80-98

مقامات السيدة فاطمة الزهراء(ع) في القرآن الكريم

دراسة تحليلية

أ.م .د عبدالحسين راشد معارج الشويلي[1]*
[1]قسم اللغة العربية, كلية التربية الأساسية, جامعة سومر, ذي قار, العراق

ملخص البحث

السيدة فاطمة الزهراء شخصية اسلامية عظيمة فريدة من نوعها مدحها الشارع المقدس بكتابه المجيد فكانت آيات المدح والثناء تُقرأ على مسامع المسلمين الى يوم الدين ، وهي ابنة الرسول الأعظم(ص) وحليلة سيد الأوصياء و أم الحسن والحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة ، ولقد أحدث هزةً عنيفةً لدى المسلمين إذ كانت أول امرأة قادت مظاهرة سِلمية نِسائية للمطالبة بحقوقها المغتصبة من قبل الحاكم وفق المبنى العُقلائي الاسلامي ، حتى أصبحت ملهمة لكل حُرّ شريف وكل ثائر بوجه الظلم والظالمين.

يتناول البحث المقامات القرآنية للسيدة الزهراء(ع) التي نَصَّ عليها الشارع المقدس في كتابه المجيد ،وأثبتها الموروث الروائي الصحيح في كتب المسلمين عامة بما يؤيد المعاني المطروحة مع التوافق للمعنى اللغوي للمفردات القرآنية بعد الرجوع الى كتب اللغة والحديث الشريف عند المسلمين عامة وبكافة مذاهبهم و أطيافهم ، كذلك ما يحكمه العقل في النصوص بما يؤيد المعاني المطروحة، إنَّ المقامات التي ذكرتها تنقسم الى مطلبين: تكويني وتشريعي، فكان: المطلب الأول : المقام التكويني، فالتكوين جعل رباني ليس للبشر أي اختيار فيه فهو اختيار الهي محض، ولقد أشار البحث الى نوعين من المقامات التكوينية : الأول : مقام الاصطفاء والحجية ، الثاني :مقام العصمة والطهارة بالرجوع الى الآيات القرآنية الكريمة وتحليلها تحليلاً علميا تفصيليا دقيقاً بلا تكرار لئلا يتسرب الملل الى القارئ الكريم.

المطلب الثاني : المقام التشريعي ، وهو الاعتقاد بأنَّ صاحبها له القدرة على معرفة حقائق الأشياء ،ومراد الله عزوجل وبالتالي معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بالمكلفين ، وهذا في الحقيقة عبارة عن قدرة على استكشاف مراد الله تعالى، ونحوٍ من أنحاء الإخبار عن الله تعالى، وليس تشريعاً مستقلاً عن إرادة الله تعالى، وبعبارة أوضح توضيح الطريق للبشرية، ويبقى الأمر بيد الانسان وهذا المقام يخص العبد المكلف فيجب عليه الطاعة وإلا خرج عن الطاعة وجاد عن الحق، وأيضاً اعتمدت نفس المنهج في التحليل والدراسة ، وقد ذكرت عدة مقامات وهي : مقام المودة ، مقام الطاعة ، مقام الأبرار ، مقام الخير والبركة، والحمد لله رب العالمين .

الكلمات الافتتاحية : مقامات ، التكويني ، التشريعي ، الاصطفاء، الحجية ، العصمة ، المودة ، الأبرار ، الأخيار، الرضا.

الرموز:(ص): ﷺ ،(ع): عليه السلام.

The shrines of Mrs. Fatima-AL- Zahra peace be upon her in the HoIy Quran – an anaIyticaI study

Dr. Abdul-Hussein Rashid Maarij Al-Shuwaili[1*]
[1]Department of Arabic language, Faculty of Basic Education, Sumer University, Thi-Qar, Iraq

Abstract

Mrs. Fatima Al-Zahraa is a great and unique Islamic personality who was praised by the Holy Lawgiver in his glorious book, so the verses of praise and praise were read to the ears of Muslims until the Day of Judgment. She is the daughter of the greatest Messenger, the wife of the master of the guardians, and the mother of Al-Hassan and Al-Hussein, the masters of the youth of Paradise. It caused a violent shock among Muslims , as she was the first woman to lead a peaceful women's

* **Email address: bdalhsynrashd@gmail. com**

demonstration to demand her usurped rights by the ruler according to the Islamic rational structure, until she became an inspiration for every honorable freedom and every rebel in the face of injustice and oppressors.

The research deals with the Quranic shrines of Mrs. Zahraa (PBUH), which were stipulated by the Holy Lawgiver in his glorious book, and proven by the authentic narrative heritage in the books of Muslims in general, in a way that supports the meanings presented with compatibility with the linguistic meaning of the Quranic vocabulary after referring to the language books and the honorable hadith of Muslims in general and of all their sects and sects. Likewise, what is governed by the mind in the texts in a way that supports the meanings presented, that the stations that I mentioned are divided into two requirements: formative and legislative, so it was: The first requirement: the formative position, so formation is divinely made for humans to have no choice in it, as it is a purely divine choice, and the research indicated two types of Formative positions: the first: the position of selection and authoritativeness, the second: the position of infallibility and purity by referring to the noble Quranic verses and analyzing them in a detailed, accurate scientific analysis without repetition, lest boredom seep into the honorable reader.

The second requirement: the legislative position, which is the belief that its owner has the ability to know the facts of things, and to know the will of God Almighty, and thus to know the legal rulings related to those who are responsible. and it is not independent of the will of God Almighty Almighty, and in the clearest terms clarifying the way for mankind, and the matter remains in the hands of man, and this station belongs to the assigned servant, so he must obey, otherwise he departs from obedience and is serious about the truth. The abode of the righteous, the abode of goodness and blessing, and praise be to God, Lord of the world.

Keywords: maqamat, formative, legislative, selection, authoritative, infallibility, affection, righteous, good people, contentment.

التمهيد

النسب الوضاء

الأب: سيد الكائنات ،وزعيم الانسانية والرحمة الإلهية للبشرية جمعاء لا يدانيه أحد في كل شيء فضلاً وعلماً وحسبا وخلقاً ومنطقاً وكرماً وشجاعةً ورحمةً.

الأم: خديجة بنت خويلد الطاهرة ،سيدة نساء قريش في الجاهلية وأم المؤمنين في الاسلام ،ذات الشرف الأصيل والمجد الأثيل، روى أحمد بن حنبل بسنده عن رسول الله (ص)أَنَّهُ قال :(أُمرتُ أن أبشر خديجة ببيتٍ في الجنة من قَصَب لا صَخَبٍ فيه ولا نَصَبٍ)[1] ،وقالت السيدة عائشة لفاطمة الزهراء (ع):(ألا أبشركِ إنّي سمعت رسول الله (ص) قال:(سيدات نساء الجَّنة أربع: مريم بنت عمران ،وفاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد ،وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)[2]،قال العقاد رحمه الله :ويؤخذ من أخبار خديجة أنَّها كانت على علم بكل من يطالع كتب المسيحية والإسرائيلية(اليهودية)..)[3] وهذا النص يدل على إنَّها كانت تجيد القراءة والكتابة ولها اطلاع بمضامين تلك الكتب السماوية .

ولادتها ووفاتها: اختلف الرواة في تحديد زمن ولادتها ووفاتها على أقوال : في رواية عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر(ع) قال :(وُلدت فاطمة (ع) بعدما أظهر الله نبوة نبيه (ص)وأنزل عليه الوحي بخمسِ سنينٍ ،وقريش تَبني البيت وتوفيت ولها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً)،وفي رواية أُخرى: ثمانيَ عشر سنة وشهر وخمسةَ عشر يوما .[4]

وحسب رواية الطبرسي :أَنَّها ولدت بعد البعثة النبوية بخمس سنين وبعد الاسراء بثلاث سنين في العشرين من جمادى الآخر وكانت ولادتها يوم الجمعة المبارك.[5]، وقيل بعد البعثة النبوية بسنة ،وذكر ابن حجر: أَنَّها ولدت قبل البعثة النبوية إلا أَنَّها أهملت السنة والشهر الذي ولدت فيه [6] وولدت سلام الله عليها في مكة المكرمة ،في بيت السيدة خديجة (ع) الذي يقع بالقرب من سوق العطارين وفي هذا الوقت صار مسجدا ،وسميت فاطمة(ع)بهذا الاسم لأن الله فطمها وذريتها من النار، كما روي عن رسول الله[7]، وكما اختلف في ولادتها سرى هذا الاختلاف في تحديد وفاتها على أقوال عدة :

1-إنَّها عاشت بعد أبيها ثلاثين يوماً أو خمسة وثلاثين يوماً.2-عاشت بعد أبيها أربعين يوماً.

3-عاشت بعد فقد أبيها خمسة وسبعين يوماً. 4- عاشت بعد أبيها خمسة وتسعين يوماً .

أما موضع قبرها الشريف ،قيل أنَّها دفنت في البقيع ،وقيل أنَّها دفنت في بيتها ،وقيل أنها دفنت ما بين المرقد النبوي الشريف ،وبين المنبر الشريف، وفي الحديث الشريف :(ما بَينَ قَبري ومنبري روضةً من رياض الجنة)[8] ، وروي أنَّهُ لما دُفنت وقف على قبرها أمير المؤمنين (ع) يشكوا ما نزل بهم قائلاً:(السلام عليك يا رسول اللَّه عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك ، قَلَّ يا رسول اللَّه عَن صَفِيتِكَ صَبري ، وَرَق عنها تجلدي ،إلا إنَّ في التأسي لي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك، إنا للَّه وإنا إليه راجعون ، فلقد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة، أما حزني فسرمد ، أما ليلي فمسهد ، إلى أن يختار اللَّه لي دارك التي أنت بها مقيم ،وستنبئك ابنتك [بتضافر أمتك على هضمها] فأحفها السؤال ، واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد ، ولم يخل منك الذكر ،والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم ، فان أنصرف فلا عن ملالة ، وان أقم فلا عن سوء ظن بما وعد اللَّه الصابرين)[9].

الذُّرية الطاهرة: عند **أهل** التحقيق أنَّ ذُريتها هم ،الامامان الهمامان الحسن والحسين عليهما السلام ، والسيدة زينب عليها السلام وسقطَ لها جنين في حادثة تاريخية مشؤومة ، وأما ما قيل غير ذلك فهو بعيد عن الحقيقة العلمية. [10]

ألقابها: لقبت بألقاب كثيرة وذلك لما تحملها من صفات نبيلة وكُلَّ لقبٍ له دلالته وميزته الخاصة وهي: الصديقة ،الطاهرة ،الزكية ،الراضية ،المحدثة لأن الملائكة تحدثها بأخبار الشرق والغرب ،البتول وقد سئل أحمد بن يحيى عن ذلك فقال :لانقطاعها عن أهل زمانها ونساء الأمة عفافاً وفضلاً ودِيناً وحسباً ،وقيل لانقطاعها عن الدُّنيا إلى الله عزوجل.[11]،ولُقِّبت كذلك بالزهراء لأنَّها كانت تزهر بعظيم ايمانها وسمُو أخلاقها، وسئل الامام جعفر الصادق (ع) عن ذلك فقال :(إنَّها إذا قامت في محرابها زَهَرَ نوُرُها لأهل السماء ،كما تزهر الكواكب لأهل الأرض)[12].

كنيتها: تُكنى عليها السلام بعدة كُنى منها :أم الحسنين وهما سبطاها الحسن أم الحسين، لَكِّن أحبُّ الكنى إلى رسول الله (ص) وإليها (ع) (أم أبيها) لعظيم حنوها وشفقتها على أبيها صلوات الله عليه لذا كان عندما يريد أن يخرج من المدينة كان آخر نور يراه نور فاطمة الزهراء(ع) و أول ما يدخل إلى المدينة يدخل إلى بيت فاطمة (ع) فيتبرك بتلك الطلعة المباركة قبل أن يدخل إلى بيت أزواجه، كلمة أم أبيها كلمة عذبة أفضل ما تفوهت به حنجرة رسول الله (ص) عندما قال مرحبا بأم أبيها ، فهذه الكلمة رغم أنها صغيرة ولكنها في نفس الوقت كبيرة مملوءة بالحب والأمل والعطف وكل ما في القلب البشري من الرقة والعذوبة .[13]

صفاتها: روي عن ثمامة بن عبد الله بن أنس ،عن أنس بن مالك ،قال : قلت لأمي: صفي لي فاطمة (ع)،فقالت : كانت أشبه الناس برسول الله (ص) ، بيضاء مشربة حمرة ،لها شعر أسود يتغفر لها ،كأنها القمر ليلة البدر، وكأنها شمس قرنت غماما ،قال عبد الله : فكانت - والله - كما قال الشاعر : بيضاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو جثل أسحم

فَكَأنَّها فيه نهارٍ مُشرِقٍ وكأنَّهُ لَيلٌ عليها مظلمٌ[14]

حياتها العلمية والعملية: لقد تركت السيدة فاطمة الزهراء(ع) كثير من الآثار الشريفة وفي مختلف العلوم الاسلامية ومن آثارها العلمية التي حّدَّثَ بها أئمة أهل البيت عليهم السلام هو كتاب (مصحف فاطمة) وهو كتاب فيه علم ما كان وما يكون الى يوم القيامة ، وليس هو قرآنٌ كما يدعي البعض ، بل هو كتاب فيه أخبار الأولين والآخرين من الملوك والأمم من روايات رسول الله (ص) التي اختصت بها السيدة الزهراء (ع) وهو موجود عند الأئمة من أهل البيت (ع) الآن وكان همها بذل العلم بكل جهدها ونشره ومن نتاج مدرستها السيدة (فضة) خادمة الزهراء (ع) [15]، أما حياتها العملية يكفي خطابها التاريخي بعد اغتصب القوم حقوقها ،فكانت صرختها المدوية بوجه الفاسدين بعد أن غض النظر عنها الانتهازيون وأصحاب المصالح والكراسي، تمثل قدوةً حسنة للرجال فضلا عن النساء، دلالةً على سعة علومها ومعارفها بمختلف العلوم، لذا كانت النساء تُسارع اليها للنهل من تلك العلوم، وحل المشكلات التي تواجه النساء بل كان الرجال يهرعون اليها لمعرفة بعض الأخبار التي اختصت بها من قبل الرسول الأعظم (ص)، كما في سيرة الصحابي جابر بن عبدالله الأنصاري [16]

تلقبت الزهراء(ع) بالمقامات الرفيعة والسامية عند الله ورسوله وأهل بيته والمؤمنين الأخيار لعلو كعبها وعظيم شرفها فاصبح حبها ورضاها قاعدة للتمييز بين المؤمن والمنافق ،وفي خبر صحيح تناقلته كتب المسلمين وروته رواتهم جيلاً بعد جيل عن النبي المصطفى(ص):(إنَّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها)[17]، ووصفت السيدة الزهراء(ع) بالصابرة في زيارتها الخاصة ،وهو من المقامات السامية التي أكَّدَ عليها القرآن الكريم بقوله تعالى :(إنَّما يُوفَّى الصابرون

أجرهم بغير حساب)[18] ،لذا جعل الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد كما في الحديث الشريف ، ولقد كانت (ع)العلة الغائية التي من أجلها خلق الله الخلق ،ففي الحديث القدسي :(يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما)[19]،والغاية متقدّمة في الوجود الذهني الذي هو وقت أخذ العهود على المغيّا فصحّ بهذا كون العلم قبل الجهل، وذلك لكون فاطمة عليها السلام أم أبيها فهي جمعت الكمالات المحمدية وكانت مظهر للصفات الربوبية وهي بقية النبوة، ولولاها لما قام بعد النبي (ص) للدين عمود ولا أخضر له عود بنورها ،وكذلك كونها أم الأئمة الوعاء الطاهر لذرية النبي (ص) والكوثر الذي لا ينقطع عطاؤه ،ومنها الامتداد العلوي لأئمة أهل البيت (ع)، فإذا عرفنا ذلك أدركنا عظمة الزهراء(ع) وحكمة وجودها لأن صلاح العالم كُلُّهُ إنَّما ينطلق من أبنائها ويكفي دليلا على ذلك ، أن يكون صلاح العالم ، بواحد من أبناء فاطمة عليها السلام، وهو الإمام المهدي عليه السلام)[20]، وهناك أحاديث كثيرة تؤكد سمو فضلها وعظمة مكانها ،ومنها قوله(ص):(ما تكاملت نبوة نبي من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وهي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى) وفي حديث آخر :(مفروضة الطاعة ، على جميع من خلق الله من الجن والأنس والطير ،والوحش ، والأنبياء ، والملائكة)[21]،وفي حديث رواه الصحابي جابر بن عبدالله الأنصاري عن أبي عبدالله الصادق (ع)متحدثاً عن نور الزهراء(ع):(.. هذا نور من نوري أسكنته في سمائي وخلقته من عظمتي ، أخرجته من صلب نبي من أنبيائي أفضله على جميع الأنبياء..)[22] .

ومن معالم التربية النبوية لها ، أنَّ أبيها دخل عليها فرأى في عنقها قلادة فشاح بوجههِ عنها ،فنزعتها وقَدَّمتها إلى أبيها ، فقال لها (وأنت مِنّي يا فاطمة) وطرق الباب سائلٌ ،فقام النبي (ص) فناوله القلادة ،ثُمَّ قال :(اشتد غضبُ اللهِ على من أهرقَ دَمي، وآذاني في عترتي)[23]،ونكتفي برواية واحدة تربوية روتها عن أبيها (ص)وهو يتحدث عن النساء المعلقات في جهنم ،فقالت :(حبيبي وقرة عيني أخبرني ما كان عملهن وسيرتهن حتى وضع الله عليهن هذا العذاب ؟ فقال: يا بنيتي أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال وأما المعلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها وأما المعلقة بثدييها فإنها تمتنع من فراش زوجها وأما المعلقة برجليها فإنها كانت تخرج من بيتها بغير اذن زوجها، وأما التي تأكل لحم جسدها فإنها كانت تزين بدنها للناس ...وأما الصماء العمياء الخرساء فإنها كانت تلد من الزنا فتعلقه في عنق زوجها وأما التي تقرض لحمها بالمقاريض فإنها كانت تعرض نفسها على الرجال، وأما التي كانت تحرق وجهها وبدنها وتأكل أمعائها فإنها كانت قوادة، وأما التي كان رأسها رأس الخنزير وبدنها بدن الحمار فإنها كانت نمامة كذابة، وأما التي كانت على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها فإنها كانت مغنية نواحة حاسدة، ثم قال (ع) ويلُ لامرأة أغضبت زوجها وطوبى لامرأة رضى عنها)[24]، إنَّ المقامات التي خصَّ الله بها السيدة فاطمة البتول (ع) تنقسم الى نوعين ، تكويني وتشريعي وعلى هذا التنويع تَمَّ تقسيم البحث الى مطلبين.

المطلب الأول

المقام التكويني

أي حق الطاعة في مجال التكوين، وتسخير الأشياء والموجودات، لإرادة صاحب هذه الولاية يتمكن بسببها من التصرف في الموجودات الخارجية، كما حدث مع الخضر(ع) في خرق السفينة وقتل الغلامين وهدم الحائط ،دون أن يعني هذا الكلام أنَّ تناقضاً سيقع مع مبدأ العلية الجاري في الكون، أو مبدأ التوحيد الذي ينص على إنَّ كل شيءٍ في الكون معلول لإرادة الله تعالى، لأنَّ مبدأ العلية في الكون لا ينحصر بالأسباب الطبيعية الحسية، بل هناك من الأسباب الغيبية ما يفوق الأسباب الحِسّية، لكن لم ولن يطلع عليها إلا ذو حظ عظيم، كما أنَّ مبدأ التوحيد لا يتنافى مع إذن الله تعالى لبعض عباده بالتصرف في الموجودات تصرفاً لم تألفه الحواس ولا ينكره العقل، وهذه الولاية ذات مراتب، وأضعفها مرتبة ما نشهده عند كل الناس كولاية الإنسان على أعضائه وعضلاته فيحركها مثلما يشاء بمقدار ما يتمكن بإذن الله عزوجل .[25]

بمعنى آخر إنَّ الانسان إذا عمل بالهداية التشريعية، وطبق وعمل عملاً صالحاً فإنَّ الله سبحانه سيرفعه درجات في الكمال، فهي رُقي وارتفاع ،وليس فقط تنوير الطريق، وهذا هو دور المعصوم، الرابط بين الانسان وربه في اعطاء الفيوضات الباطنية كما إنَّ النبي رابط بين الانسان وربه في دور التشريع الظاهري، فالمعصوم مرتبط بقوس الصعود، وإنَّ الله هدانا بالهداية التنويرية بواسطة الانبياء(ع) فإنَّ الرقي الى الله ودرجات الكمال هي بواسطة المعصوم ، وهذا أمر تكويني لا تشريعي نقل النفوس من موقف تكويني الى موقف تكويني آخر، وقول الله سبحانه الى ابراهيم (ع)﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[26]،فإذا كان الغرض من الامامة الهداية التنويرية فإنَّ هذا تحصيل حاصل وتكرارٍ لأنَّ هذه الهداية حاصلة كون ابراهيم(ع) كان نبي ودور النبي هو تنوير الناس وبيان الصراط لهم فالدور(التكويني) هو كون ابراهيم (ع) أصبح اماماً، وهو أمرٌ صادرٌ من الله عزوجل يخص الأنبياء والرسل والمعصومين عليهم السلام، وتعني الولاية التكوينية: القدرة على التصرف في الأمور الكونية التي تتجاوز القدرة العادية في التعامل مع النواميس الطبيعية ،مثل احياء الموتى ، أو طي

الأرض، أو الإتيان بعرش بلقيس من اليمن الى فلسطين قبل ارتداد الطرف أو تحريك الرياح ...وغيرها.[27]، ومن النماذج القرآنية ،قوله تعالى: في قصة النبي عيسى عليه السلام ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ﴾[28]،ولنتأمل بالآية الكريمة نجد كلمة (بإذن الله) وهو أذن يشبه التفويض الكامل من قبل الباري عزوجل، وهذا الأذن ليس بمقدور أي مخلوق الحصول عليه إلا من كانت نفوسهم قدسية وأرواحهم ربانية سَمَت وحلَّقت في أجواء القدس والنور، وسبَحَت في جوهر التوحيد، وتَجلَّت فيها حقيقة العبودية، وبمقدار ما تثبت هذه الصفة بمقدار ما يفاض على الإنسان من كرم الله تعالى، وبهذا فإنَّ المقام التكويني علاقة خاصة بين الرب وبين من اصطفاه واختاره الله لحمل تلك الأمانة ، وبتوفيق من الله نبدأ بذلك المقام .

أولاً: مقام الاصطفاء والحُجّية:

1- قال تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[29] ،روى الطبري الامامي عن المفضل بن عمر قال قلت لأبي عبدالله (ع): أخبرني عن قول رسول الله (ص)في فاطمة : أنَّها سيدة نساء العالمين ، أهي سيدة نساء عالمها ؟ فقال : تلك مريم كانت سيدة نساء عالمها ، وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين)[30] وروى العياشي بسنده عن الحكم بن عيينه (عتيبة) قال :(سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله في الكتاب(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) اصطفاها مرتين والاصطفاء إنما هو مرة واحدة ، قال : فقال لي يا حكم إنَّ لهذا تأويلاً وتفسيراً ، فقلت له ففسره لنا أبقاك الله ، قال : يعنى اصطفاها إياها أولا من ذرية الأنبياء المصطفين المرسلين ، وطهرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاحا واصطفاها بهذا في القرآن ﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدي وأركعي ﴾شكرا لله...)[31]

اللغة : اصطفاك وطهرك واصطفاك - اصطفيتك على الناس – وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) واصطفيت كذا على كذا أي اخترت (أصطفى البنات على البنين - وسلام على عباده الذين اصطفى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) والصفي والصفية ما يصطفيه الرئيس لنفسه ،قال الشاعر :* لك المرباع منها والصفايا *،وقد يقالان للناقة الكثيرة اللبن والنخلة الكثيرة الحمل ...[32] وبهذا يكون معنى الاصطفاء هو الميل والاختيار ،والاختيار بعد التكوين والتدبير والخلق ، والرحمة واللطف أيضاً.

تحليل النص: يبدوا إنَّ الاصطفاء مأخوذ من معنين :الأول : الصفاء والصفو أي الخلوص من الشوائب فيقال ماءٌ صافٍ وسماءٌ صافية ، أما المعنى الثاني من الاصطفاء أي الاختيار، وأعم المفسرين يذهبون الى القول بمعنى الاختيار والتطهير من الدنس والخبث ،فالشيخ الطوسي (رحمه الله) نقل رأي الزجاج واختاره الجبائي: إنَّ معناه اختارك على نساء العالمين بحال جليلة من ولادة المسيح عيسى (ع) ،وقوله : (وطهرك) في معناه قولان : أحدهما - قال الحسن ، ومجاهد : طهرك من الكفر .والثاني - ذكره الزجاج أن معناه طهرك من سائر الأدناس : الحيض ، والنفاس ، وغيرهما، وإنَّما كرر لفظ اصطفاك ، لأنَّ معنى الأول اصطفاك بالتفريغ لعبادته بما لطف لك حتى انقطعت إلى طاعته وصرت متوفرة على اتباع مرضاته ومعنى الثاني اصطفاك بالاختيار لولادة نبيه عيسى (ع) على قول الجبائي)[33] .

والمعنين يمكن جمعهما بالقول الآتي: لولا صفاؤهم لما اختارهم، والدليل تكرار كلمة الاصطفاء مرتين في الآية الكريمة، والاصطفاء مفهوم قرآني تكرر خمسة عشرة مرةً في القرآن على اختلاف مشتقاتها بعدة معان :مرةً بمعنى الاختيار والتفضيل في قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[34] وقوله :﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[35] الاصفاء الأول من الصفوة والتنزيه من كل شائبة والاصفاء الثاني بمعنى الاختيار، وأخرى يأتي بمعنى التبليغ والأسوة الحسنة كما في قوله تعالى مخاطباً الرسول موسى(ع):﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾[36] وقوله عزوجل :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[37] ويبين الشارع المقدس علة الاصطفاء في قوله :﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[38] علة اصفائهم لأنَّهم أصحاب قوة في طاعته وأصحاب بصيرة في الدين ،فخلصت الدار الآخرة في ذاكرتهم فدعوا الناس الى عبادته وأخلصوا في دعواتهم فلذا اختارهم الله حجج على البشر، ولذا ردَّ عزوجل على من اعترض على المصطفين﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ فلا يوجد مصطفى أي مختار من الله سيء وإنَّما كُلَّهم أخيار، والاصطفاء لا يكون مشروطاً بالأنبياء(ع) فقط ،فهذا أمر خاطئ ،فقد اصطفى طالوت(ع) قائداً وليس نبياً قال تعالى:﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ﴾[39] واصطفى السيدة مريم (ع) وهي ليست نبية، بل إنَّ الله تعالى يختار الأشخاص لمسؤوليات أخرى غير النبوة، حتى اصبحت سيدة نساء عالمها .

واختار كثير من المفسرين هذا المعنى منهم الشيخ الطبرسي والشيخ محمد جواد مغنية رحمهما الله [40] ،ويرى السيد الطباطبائي (قدس): إنَّ الآية الكريمة دَليلٌ على إنَّ السيدة مريم(ع) مُحدثة تُحدثها الملائكة تسمع كلامهم ، وهذا الأمر ينطبق تماما على السيدة الزهراء (ع) ، ويرى أيضاً بقوله: (فاصطفائها تقبلها لعبادة الله وتطهيرها اعتصامها بعصمة الله فهي مصطفاة معصومة وربما قيل إنَّ المراد من تطهيرها جعلها بتولاً لا تحيض فيتهيأ لها بذلك أن لا تضطر إلى الخروج من الكنيسة ولا بأس به غير أن الذي ذكرناه هو الأوفق بسياق الآيات)[41].

ويتضح إنَّ اختيارها واصطفائها لتكون سيدة نساء العالمين بالمطلق لما فيها من ميزاتٍ ربانية ولأمومتها الأئمة الاطهار، كما اصطفى السيدة مريم(ع) لولادة عيسى (ع) ،وهذا ما تؤكده الروايات الصحيحة عن أهل البيت(ع) ،روى الطبري عن المفضل بن عمر ،قال :(قلت لأبي عبدالله (ع): أخبرني عن قول رسول الله(ص) في فاطمة :أنَّها سيدة نساء العالمين ،أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال: تلك مريم كانت سيدة نساء عالمها ، وفاطمة سيدة نساء عالمها من الأولين والآخرين)[42].

وهناك أدلة قرآنية تذهب الى هذا المعنى : إنَّ السيدة مريم سيدة نساء عالمها ، ومنها قوله تعالى:﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[43] ،وقوله تعالى على لسان نبي الله موسى(ع) مخاطباً بني اسرائيل:﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[44]،وقوله عزوجل:﴿ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [45] ﴾،وقوله عزوجل :﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[46]، فالمراد من التفضيل هنا تفضيلهم على عالم زمانهم ،لورود آيات تفضيل أخرى لأمم تلتهم من حيث الزمان كقوله تعالى:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[47]،وقوله تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[48] ، فالآيات الكريمة تبين إنَّ هذه الأمة أفضل من بني اسرائيل ، ولو جزء من هذه الأمة الاسلامية، تكون محصلة القول: إنَّ المراد من اصطفاء مريم (ع) على العالمين هو عالم زمانها وأقوامها الذين كانت تحيط بهم في ذلك الزمن [49]، فإذا كانت مريم (ع) حازت على ذلك المقام السامي لزمانها من الاصطفاء، فإنَّ السيدة الزهراء(ع) قد حازت على سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ،بشهادة الروايات الثابتة من الفريقين، واذا كانت السيدة مريم(ع) كانت تحدثها الملائكة بشهادة القرآن الكريم ،قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ...﴾[50]،وهي أعلى مراتب الوحي التي لا تنزل غالباً إلا على الأنبياء والمرسلين ، وقد ورد نظير ذلك من نزول اللوح الأخضر المتضمن أسماء المعصومين الاثني عشر عليهم السلام ،وكذلك مائدة الطعام وغير ذلك ،وقد سأل أحدهم الامام جعفر الصادق(ع) في هذا المعنى، روي عن اسحاق بن جعفر عن أبي عبدالله الصادق(ع): قال :(سمعت أبا عبدالله (ع) يقول :إنَّما سُمِّيت فاطمة (ع) مُحدِّثة لأنَّ الملائكة كانت تُهبط من السماء تناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول : يا فاطمة ،إنَّ الله اصطفاكِ وطهركِ واصطفاكِ على نساء العالمين ، يا فاطمة ، اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ،فتحدثهم ويحدثونها، قالت لهم ذات ليلة: أليست المُفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنَّ مريم(ع) كانت سيدة نساء عالمها، وإنَّ الله عزوجل جعلك سيدة نساء عالمكِ وعالمها وسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين)[51].

ولقد أشرف النبي الأكرم (ص) على إعداد فاطمة(ع) لتلقي هذه الخصوصية الربانية، إذ كان يُشرف على تربيتها ويزق اليها العلم والمعرفة بمرأى من السيدة خديجة (ع)، وأخرى تحت رعاية الرسالة ونزول الوحي في بيتها ، وتسمع الوحي من فم أبيها قبل أن يُسمعه للمسلمين، وتعي الرسالة قبل غيرها، لذا قال رسول الله(ص) في رواية صحيحة:(فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها وهي سيدة نساء العالمين)[52] وهذا حكم صادر من الذات المُقدسة بحق كل من آذى السيدة فاطمة (ع) وغصب حقها وسلب ارثها، وقتل ذريتها منذ ذلك اليوم والى يوم الحساب وعند الله تحتسب الخصوم.

يقول الشيخ السند (حفظه الله) في مقتضى رواية النيسابوري :(إنَّ الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها):(إنّ أقوالها و أفعالها وسيرتها كُلَّها مبينة لمواطن رضا الله ومواطن سخط الله تعالى وغضبه ،لأنها إذا رضيت قولاً فإنَّ رضاها يكشف عن رضا الله تعالى وإن سخطت قولاً فسخطها يكشف عن سخط الله ، وكذلك في الأفعال والسيرة ،فهو نظير التعبير بالاصطفاء على نساء العالمين .[53]

2- قال تعالى :﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[54].

اللغة : نبتهل : أي نلتعن أي ندعوا الله على الظالمين، يقال : بهله الله ،وبهله : لعنه ، والابتهال في الدعاء الاجتهاد.[55]

التحليل: رويت روايات كثيرة في بيان أسباب نزولها وأحصى بعضهم أسانيد رواتها أربع وعشرين سنداً[56]،وعن جابر بن عبد الله قال : قدم وفد أهل نجران على النبي (ص) العاقب والسيد ، فدعاهما إلى الاسلام ، فقالا أسلمنا قبلك ، قال كذبتما إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الاسلام : فقالا : هات أنبئنا ، قال : حُب الصليب ، وشُرب الخمرِ ، وأكلِ لحمِ الخنزير ، فدعاهما إلى الملاعنة ، فوعداه على أن يغادياه بالغداة، فغدا رسول الله (ص) فأخذ بيد علي وفاطمة وبيد الحسن والحسين ، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا ، فأقرا له بالخراج فقال النبي (ص): والذي بعثني بالحق لو فعلا لمطر الوادي نارا، قال جابر : فنزلت فيهم هذه الآية - فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم - قال الشعبي : أبناءنا : الحسن والحسين ، ونساءنا : فاطمة ، وأنفسنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم)[57]، أما عن طريق أهل البيت (ع) فلقد بلغت مرتبة التواتر ولم يخل كتاب روائي أو تفسيري في بيان أسباب نزولها.

وحسب رواية الواحدي أعلاه عن جابر بن عبدالله الأنصاري الثقة عند الفريقين ،فإنَّ الآية تُثبت اصطفاء واختيار الله عزوجل لمن يستحق لذلك المقام الالهي المقدس ، وهو يثبت اضافة الى ذلك عصمتهم وطهارتهم من الأقذار المادية والمعنوية خلاف الصحابة اللذين قضوا أعمارهم عاكفين على عبادة الأصنام والأوثان، ويرتكبون البوائق والمعاصي، وارتكاب الفواحش من الزنى المحرم الى القتل والنهب والسلب، بل تَعدى الأمر الى قتل بعضهم البعض.

ونستدل برواية واحدة عن الامام الرضا (ع) في احتجاجاته على المأمون العباسي، قال المأمون:(هل فضل الله العترة على سائر الناس ؟ فقال أبو الحسن : إنَّ الله عز وجل أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه فقال له المأمون : وأين ذلك من كتاب الله ؟ فقال له الرضا (ع) في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[58] وقال عز وجل في موضع آخر :﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آَتَيْنَا آَلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[59] ثم رد المخاطبة في أثر هذه إلى سائر المؤمنين فقال :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم﴾[60] يعنى الذي قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهما فقوله عز وجل : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آَتَيْنَا آَلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ يعنى الطاعة للمصطفين الطاهرين فالملك هيهنا هو الطاعة لهم فقالت العلماء : فأخبرنا هل فسر الله عز وجل الاصطفاء في الكتاب ؟ فقال الرضا (ع) فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثنا عشر موطنا وموضعا ، فأول ذلك قوله عز وجل:﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [61] ورهطك المخلصين هكذا في قراءة أبي بن كعب وهي ثابته في مصحف عبد الله بن مسعود وهذه منزله رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلك الآل فذكره لرسول الله (ص) فهذه واحده ،والآية الثانية - في الاصطفاء قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[62] وهذا الفضل الذي لا يجهله أحد إلا معاند ضال لأنه فضل بعد طهارة تنتظر فهذه الثانية ،وأما الثالثة فحين ميز الله الطاهرين من خلقه فامر نبيه بالمباهلة بهم في آية الابتهال فقال عز وجل: يا محمد :﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [63] فبرز النبي (ص) علياً والحسن والحسين وفاطمة (ع) وقرن أنفسهم بنفسه فهل تدرون ما معنى قوله :(وأنفسنا وأنفسكم)؟ قالت العلماء :عنى به نفسه فقال أبو الحسن (ع): لقد غلطتم إنما عنى بها علي بن أبي طالب (ع) ومما يدل على ذلك قول النبي (ص): حين قال : لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي يعنى علي بن أبي طالب (ع)، وعنى بالأبناء الحسن والحسين وعنى بالنساء فاطمة (ع) فهذه خصوصيه لا يتقدمهم فيها أحد وفضل لا يلحقهم فيه بشر وشرف لا يسبقهم إليه خلق إذ جعل نفس علي عليه السلام كنفسه فهذه الثالثة)[64]،وأثبت الامام الرضا(ع) في هذه الرواية باستدلالاته القرآنية علة اصطفائهم (ع) لتميزهم عن باقي الموجودات ،وهذا التميز هو مقام تكويني وجعلٌ رَبأني خصهم الله به لما أودع فيهم، وإذا تركت القضية لمقاييس البشر فإنهم سيختارون وفق مقاييسهم المادية الشهوانية، وبالتالي سيعم الفساد في الأرض وهذ ما يحدث الآن في العالم بعد أن هجروا وضيعوا من اختارهم الله لقيادة البشر.

ومن هنا يتبين بعد تلك الأبحاث: إنَّ الاصطفاء جعلٌ رَبَّاني(تكويني) واختيار وتنصيب لمقام يكون فيه صاحبه حُجةً على الخلق ، والحُجّية صفة أعم من النبوة والرسالة والامامة، وقد جمعت السيدة الزهراء (ع) ثلاث صفات عظيمة في هذا المبحث وهن : الاصطفاء والحجية باعتبار مقام العلم والحكمة كما قال تعالى:﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آَتَيْنَا آَلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [65] وفسرالآية الامام الباقر (ع)بقوله :(نحن الناس ..)[66] و أثر عن الإمام الحسن العسكري(ع) أنَّه قال :(نحن حُجَج الله على الخلق وجدتنا فاطمة حجة الله علينا)[67]، وهذا من الأحاديث العظيمة الذي بينَ لفاطمة (ع) وعلى لسان حفيدها الحسن العسكري (ع) أكبر شهادة عظمى بحَقِّها، وهناك حديث آخر يدل على عظمة مقامها(ع)، وهو توقيعٌ صادرٌ من الامام الحجة المهدي (ع) بقوله :(وفي ابنة رسول الله (ص) لي أسوة حسنة..)[68] ،أي إنَّ الامام (ع) اتخذها قدوة يتأسى بها في المعضلات والشدائد ، فأي مقام لها (ع) في

اثبات حجيتها على الأئمة (ع) قال العلامة محمد بن طلحة الشافعي في تعليقه على آية المباهلة : (اعلم - أيدك الله بروح منه - أنَّ الأئمة الأطهار المعدودة مزاياهم في هذا المؤلف ، والهداة الأبرار المقصودة سجاياهم بهذا الصنف لهم برسول الله زيادة على اتصالهم به بواسطة فاطمة (ع)،فبواسطتها زادهم الله تعالى فضل شرف وشرف فضل ، ونيل قدر وقدر نيل ، ومحل علو وعلو محل ، وأصل تطهير وتطهير أصل . . فانظر بنور بصيرتك .. إلى مدلول هذه الآية – آية المباهلة - وترتيب مراتب عباراتها وكيفية إشارتها إلى علو مقام فاطمة (ع) في منازل الشرف وسمو درجتها ، وقد بين ذلك وجعلها بينه وبين علي تنبيها على سر الآية وحكمتها ، فإن الله عز وجل جعلها مكتنفة من بين يديها ومن خلفها ليظهر بذلك الاعتناء بمكانتها وحيث كان المراد من قوله:(وأنفسنا) نفس علي مع النبي (ص) ،جعلها بينهما إذ الحراسة بالإحاطة بالأنفس أبلغ منها بالأبناء في دلالتها)[69] ووصف الامام علي (ع) الحجج بقوله :(هَجَمَ بِهِمُ العِلمُ عَلى حَقائِقِ الإيمانِ ، فَاستَلانوا روحَ اليَقينِ ، فَأَنِسوا بِمَا استَوحَشَ مِنهُ الجاهِلونَ ، واستَلانوا مَا استَوعَرَهُ المُترَفونَ ، صَحِبُوا الدُّنيا بِأَبدان أرواحُها مُعَلَّقَةٌ بِالمَحَلِّ الأَعلى ،أُولئِكَ خُلَفاءُ اللهِ في أرضِهِ ، وحُجَجُهُ عَلى عِبادِهِ .. آهِ آهِ شَوقًا إلى رُؤيَتِهِم !)[70] و المقامان السابقان تكوينيان ، والرضا الالهي وهو مقام تشريعي المشروط برضاها، فسلام الله عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً.

ثانياً: مقام العصمة والطهارة: قال تعالى :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[71]

اللغة : الرجس: اسم جامع لكل شر ونقص وهو نقيض العصمة ، والتطهير من الرجس: عموم التطهير من كل ما ينبغي التطهير منه عرفاً وعقلاً وشرعاً، كالشك والتطهير: التزكية عن الذنوب والخطايا.[72]

العصمة لغةً: المنع ،ومنه قوله تعالى :﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[73] ،وقوله:﴿ ونَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[74]والعصمة تبنى على منع الله سبحانه للعبد منها ،ولو بما يخرج عن ارادته ،أو من ميزاته التكوينية الجسدية أو بما يهبه الله بمنبهات خارجية كالوحي والتسديد ،والمعصوم يفعل جميع الواجبات باختياره ، ويترك جميع المحرمات والمعاصي باختياره ، وتتصف العصمة بشمولية الطاعة وعموميتها من دون فرقٍ بين المعصوم وغيره ، والمحصلة من ذلك : إنَّ التعبير بالعصمة لا يعني الاجبار ،ولا يعني حصولها قصراً.[75] ،والعصمة من مستلزمات الحُجّية والنبوة والامامة ، فكيف تثبت له تلك المقامات وهو ليس بمعصوم! وهي لطفٌ ربانّي تلطف بها على خلقه كي يمنعهم من الضلال والتيه ، بإثبات الحجة عليهم .

التحليل :كثرت الروايات التفسيرية لهذه الآية الكريمة ومن كلا المدرستين ، ومنها ما رواه الشيخ الكليني (طاب ثراه): (عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّه (ع)عَنْ قَوْلِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فَكَانَ عَلِيٌّ والْحَسَنُ والْحُسَيْنُ وفَاطِمَةُ ع فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللَّه ص تَحْتَ الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلاً وثَقَلاً وهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وثَقَلِي فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ فَقَالَ إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ ولَكِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي وثِقْلِي)[76] .

روى مسلم بإسناد صحيح عن السيدة عائشة ،وروى القندوزي عن ثلاثمائة من الصحابة وعن أنس بن مالك وعن زيد بن علي عن أبيه عن جده الحسين(ع) قال :(كان النبي(ص) يأتي كُلَّ يومٍ باب فاطمة (ع) عند صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ تسعة أشهر بعدما نزلت﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾[77].

ورواه الطبري وابن قتيبة وابن منظور عن أم سلمة وفي البيت سبعة ميكائيل وجبرائيل ومحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وروى الاسترآبادي والبحراني بإسناد عن هاشم بن البريد عن زيد بن علي (ع) عن أبيه عن جده الحسين (ع) قال : كان رسول الله(ص) في بيت أم سلمة فأتي بحريرة* فدعا علياً(ع) وفاطمة والحسن والحسين(ع) فأكلوا منها ، ثُمّ جَلَلَ عليهم كساءً خيبرياً ،ثُمَّ قال :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فقالت أم سلمة: وأنا منهم يا رسول الله ؟ قال : أنت على خير)[78].

واستدل الامام الحسين (ع) بهذه الآية الكريمة عندما طلب منه مروان بن الحكم أن يبايع يزيد ، فقال (ع) :(إليك عنِّي يا عدو الله فإنا أهل بيتِ رسول الله (ص) الحق فينا وبالحق تنطق ألسنتنا ، وقد سمعت رسول الله(ص) يقول : الخلافة محرمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء وأبناء الطلقاء !ويلك يا مروان إليك عني فإنك رجس! وإنا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عزوجل على نبيه محمد(ص) فقال :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[79].

قال القرطبي: قراءة النبي(ص) لهذه الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ..) دليلٌ على أنَّ أهل البيت(ع)المعنيين في الآية المغطون بذلك المرط في ذلك الوقت)[80]، وقال الواحدي :إنَّ آية التطهير نزلت في خمسة : النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام))[81] وذكر ابن تيمية :(أفضل أهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين الذين أدار عليهم الكساء وخصهم بالدعاء)[82].

وهذا الروايات المتضافرة من قبل النبي(ص) أي تلاوته الآية على مرأى ومسمع المسلمين كل يوم بل كل وقت صلاة أمام بيت الزهراء (ع) كانت منهجاً واسلوباً من أفضل الأساليب لدرء محاولات المغرضين لأجل سد منافذ الريب والالتباس بإدخال ما ليس منهم فيهم، واخراج من كان منهم عنهم لأجل خلط الأوراق والتلبيس على المسلمين ،وبعد ثبوتها أنَّها نزلت بحق أهل البيت(ع) وأصحاب الكساء الخمسة بما لا يقبل النقض ،نجد الآية الكريمة فيها خمس تأكيدات على إرادة الهية جازمة وقاطعة في طهارة أهل بيت النبوة :

التأكيد الأول: افتتحت الآية بحرف(إنَّ) المشبه بالفعل الذي يُفيد التوكيد و أعقبها بحرف(ما) الحصرية لتؤكد مرةً أخرى على إنَّ الطهارة والتطهير مُنحصرٌ في هؤلاء الخمسة فقط .

التأكيد الثاني: أردفت بحرف(لام) التوكيد على كلمة (يُذهب) ليكشف عن طهارتهم من كل الذنوب والمعاصي منذ ولادتهم حتى مماتهم .

التأكيد الثالث: جاءت الآية بكلمتي(ويطهركم تطهيرا) لتؤكد مرةً ثالثة ولا تترك مجالاً للشك والريب ، وتثبت قطعاً الطهارة الكاملة لأهل البيت(ع) وخالية من كل شبهة وشائبة .

التأكيد الرابع : من قبل الرسول(ص) نفسه بعد أن حصرهم تحت الكساء وتطبيق الآية عليهم ومنع أم سلمة(رض) – مع كونها من الصالحات- من الدخول معهم ،والغاية التأكيد اختصاصهم بالآية الكريمة وقطع الطريق على كل ادعاء بشمولها لغيرهم .

التأكيد الخامس: من قبل الرسول (ص) نفسه خلال تسعة أشهر وكان بعض الصحابة يأتي الى المدينة فيبقى فيها سبعة ،وبعضهم ثمانية أشهر وهم يرون بأم أعينهم رسول الله (ص) كُلَّ يومٍ فجراً يأتي الى باب فاطمة(ع) وهو يقول :الصلاة يا أهل البيت ثم يقرأ الآية (انما يريد الله...)[83] ومن جميع ما تقدم نستنتج ثبوت مقام العصمة والطهارة التكويني للسيدة فاطمة الزهراء(ع) ،وأيضاً هذا المقام يُثبت حُجّيتها على غيرها، ونكتفي بذكر المقامين حسب مجريات البحث القرآني.

المطلب الثاني

المقام التشريعي

وهو الاعتقاد بأنَّ صاحبها له القدرة على معرفة حقائق الأشياء ،ومعرفة مراد الله عزوجل وبالتالي معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بالمكلفين، وهذا في الحقيقة عبارة عن قدرة على استكشاف مراد الله تعالى، ونحوٍ من أنحاء الإخبار عن الله تعالى، وليس تشريعاً مستقلاً عن إرادة الله تعالى، وبعبارة أوضح توضيح الطريق للبشرية ويبقى الأمر بيد الانسان ، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[84]،﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر﴾[85]،فهو الذي يخص المُكلف وهي أيضاً صادرة من الشارع كالأمر والنهي والمودة والرضا والبر والحُب وغيرها[86].

أولاً: مقام المودة والرضا -

1- قال تعالى :﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[87]، لابد لكل باحث في التفسير من الرجوع الى الروايات الموثوقة لبيان معانيها وسبب نزولها ،وسأدُون بعض الروايات الموثوقة ومن المدرستين ومنها: روى البرقي بإسناد موثوق عن سلام بن المستنير ، قال :سألت أبا جعفر (ع)عن قول الله عز وجل:﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقال(ع) : هي والله فريضة من الله على العباد لمحمد (ص) في أهل بيته)[88].

وروى الحسكاني بإسناده عن أم بكر بنت المسور عن أبيها عن الحسين بن علي (عليهما السلام)قال: في قوله تعالى:﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾: إنَّ القرابة التي أمر الله بصلتها وعظم حقها وجعل الخير فيها قرابتنا أهل البيت(ع) الذي أوجب حقنا على كُلّ مُسلم)[89].

وروى الشيخ الكليني(رحمه الله) رواية نقتطف منها إنَّ الامام الصادق(ع) سأل أبي جعفر الأحول:(ما يقول أهل البصرة في هذه الآية :(قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) ؟ قلت : جعلت فداك إنهم يقولون : إنها لأقارب

رسول الله (ص)، فقال : كذبوا إنما نزلت فينا خاصة في أهل البيت في علي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء (ع))[90] ، وروى البخاري: قال:(قال سعيد بن جبير(رض) في(الا المودة في القربى):قربى آل محمد)[91].

من الأمور البديهية إنَّ كُل عمل له أجر، فالسؤال الذي يتبادر الى ذهن الانسان، ما هو أجر الرسول(ص) على ما قام به من تبليغ الرسالة الاسلامية؟ وبالطبع سيكون الجواب: لا يمكن أن يقابل بالمال ولا حتى بالنفس أيضاً، وقد قال الله عزوجل:﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ [92]، وهذا بديهيٌ أيضاً لأنَّ الرسالة أعظم من كل شيء ،وإذا كان لا يمكن تحقيق ذلك إلا من قبل الله عزوجل كما في قوله عزوجل:﴿ وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربِّ العالمين﴾[93]،فما معنى قوله :﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟!! وعند التفكر في الآية الكريمة نستنتج منها ثلاثة أمور:

1- الاستغناء التام والمطلق عن أي أجر على تبليغ الرسالة .
2- ورد في الآية استثناء خاص عن النفي العام(لا أسئلكم) بطلب الأجر(الا المودة) بتحقيق أجر التبليغ بالمودة لأهل القربى ، ومَرَّ بنا من هم أهل القربى.
3- إنَّ الآية الكريمة بدأت بصيغة الأمر(قُل) وهذه دلالةً على الأهمية القصوى للأمر الصادر من الشارع المقدس ، وإنَّ هذا الأمر مرتبط باصطفاء الهي لا دخل لرسول أو مقرب أو أي انسان آخر به ، بل هو تشريع سماوي مقدس وهذا ما نُسَمِّيه بالمقام التشريعي، ويجب الامتثال له والطاعة المحضة من غير تردد أو شك .

يقول الامام الحسن (ع) :(إنَّ الله عز وجل بمَنِّه ورحمته، لما فرض عليكم الفرائض ، لم يفرض ذلك عليكم لحاجةٍ منه إليه، بل رحمة منه، لا إله إلا هو، ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، ولتتسابقوا إلى رحمته، ولتتفاضل منازلكم في جنته ، ففرض عليكم الحج والعمرة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والولاية ، وجعل لكم بابا لتفتحوا به أبواب الفرائض مفتاحاً إلى سبله، ولولا محمد (ص) والأوصياء من ولده(ع) كنتم حيارى كالبهائم ،لا تعرفون فرضاً من الفرائض ، وهل تدخل قرية إلا من بابها ، فلما من عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم (ص)قال:(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وفرض عليكم لأوليائه حقوقا ! وأمركم بأدائها إليهم ، ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومأكلكم ومشاربكم ، ويعرفكم بذلك البركة والنماء والثروة ليعلم من يطيعه منكم بالغيب، ثم قال عز وجل:﴿قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ فاعلموا أنَّ من يبخل فإنَّما يبخل عن نفسه ، إنَّ الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه ،فاعملوا من بعد ما شئتم فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين)[94].

2- قال تعالى :﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّه﴾[95] ، روي عن الريان بن الصلت عن الامام الرضا(ع) أنَّهُ قال للمأمون العباسي :(.. فلما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) قال :ادعوا إلى فاطمة فدعيت له فقال : يا فاطمة قالت : لبيك يا رسول الله فقال : هذه فدك* مما هي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين وقد جعلتها لما أمرني الله تعالى به فخذيها لك ولولدك..)[96]

وقد فَسَّرها الصحابة والتابعين بمعنى قرابة الرسول(ص) عن ابن عباس والحسن وغيرهم :وأعط القرابات حقوقهم التي أوجبها الله لهم في أموالكم ،وقيل: إنَّ المراد قرابة الرسول(ص)[97] ، واحتج الامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام على رجلٍ من أهل الشام فقال له :(أقرأت القرآن ؟ قال : نعم قال : أما قرأت(وآت ذا القربى حقه) قال : وإنكم ذو القربى الذي أمر الله أن يؤتى حقه ؟ قال : نعم، قال الطبرسي : وهو الذي رواه أصحابنا عن الصادقين عليهم السلام)[98].

واحتجت السيدة الزهراء(ع)بهذه الآية وغيرها على عمر بن الخطاب بعد اقتطاعه فدك من يدها ،وقد نصحها أمير المؤمنين(ع) بالذهاب الى أبي بكر ،فقال لها : هات بينةً يا بنت رسول الله – وهل تُسأل مثل الزهراء(ع) عن بينةٍ وهي التي يرضى الله لرضا ويغضب لغضبها - فقالت (ع):(أما فدك ، فإن الله عز وجل أنزل على نبيه قرآنا يأمر فيه بأن يؤتيني وولدي حقي، قال الله تعالى :﴿فآت ذا القربى حقه﴾ فكنت أنا وولدي أقرب الخلائق إلى رسول الله (ص) فنحلني وولدي فدكاً...فنظر أبي بكر الى عمر بن الخطاب وقال: ..ما أظن أصحاب محمد(ص) يرضون بهذا؟!- وما علاقة أصحاب محمد(ص) بهذا سواء رضوا أم لم يرضوا ، إنَّهُ تشريع سماوي مقدس يجب تنفيذه- فقالت : فانّ الله عز وجل رضي بذلك ورسوله رضي به ، وقسّم على الموالاة والمتابعة لا على المعاداة والمخالفة ، ومن عادانا فقد عادى الله ، ومن خالفنا فقد خالف الله ومن خالف الله فقد استوجب من الله العذاب الأليم والعقاب الشديد في الدنيا والآخرة ، فقال عمر: هاتِ بيّنة يا بنت محمد على ما تدّعين؟! فقالت فاطمة (ع) قد صدّقتم جابر بن عبد الله وجرير بن عبد الله ولم تسألوهما البيّنة ! وبيّنتي في كتاب الله ،فقال عمر: إنَّ جابراً وجريراً ذكرا أمراً هيّناً ، وأنت تدعين أمراً عظيماً يقع به الردة من المهاجرين والأنصار، فقالت(ع): إنّ المهاجرين برسول الله وأهل بيت رسول الله هاجروا إلى دينه ، والأنصار بالإيمان بالله ورسوله وبذي القربى أحسنوا ، فلا هجرة إلا إلينا ولا نصرةَ إلا لنا ،ولا اتباع بإحسان إلا بنا ،ومن ارتد عنا فإلى الجاهلية، فقال لها عمر:

دعينا من أباطيلك ، واحضرينا من يشهد لك بما تقولين !! فبعثت إلى علي والحسن والحسين وأم أيمن وأسماء بنت عميس - وكانت تحت أبي بكر بن أبي قحافة - فأقبلوا إلى أبي بكر وشهدوا لها بجميع ما قالت وادّعته فقال عمر: أما علي فزوجها ، وأما الحسن والحسين ابناها ، وأمّ أيمن فمولاتها ، وأما أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن أبي طالب فهي تشهد لبني هاشم ، وقد كانت تخدم فاطمة ، وكل هؤلاء يجرّون إلى أنفسهم ، فقال علي (ع) : أما فاطمة فبضعة من رسول الله (ص) ومن آذاها فقد آذى رسول الله (ص) ومن كذّبها فقد كذّب رسول الله ، وأما الحسن والحسين فابنا رسول الله (ص) وسيدا شباب أهل الجنّة ، ومن كذّبهما فقد كذّب رسول الله (ص) إذ كان أهل الجنة صادقين ، وأما أنا فقد قال رسول الله (ص) : أنت منّي وأنا منك ،وأنت أخي في الدنيا والآخرة والراد عليكَ هو الراد عليّ ،ومن أطاعك فقد أطاعني ، ومن عصاك فقد عصاني ، وأما أم أيمن فقد شهد لها رسول الله(ص) بالجنّة ، ودعا لأسماء بنت عميس وذريتها ،قال عمر : أنتم كما وصفتم أنفسكم ، ولكن شهادة الجار إلى نفسه لا تقبل - وفي رواية أنَّها قالت : أنا فاطمة وأبي محمد فزعمتم أن لاحظ لي ، ولا أرث من أبي ! أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها ؟ !أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون ؟ ! أو لست وأبي من أهل ملة واحدة ؟ ! أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه أعلم من النبي ؟ ! دونكها مرحولة مزمومة [99] تلقاك يوم حشرك ،فنعم الحكم الله ، ونعم الزعيم(الخصيم) محمد(ص)،والموعد القيامة ، وعما قليل تؤفكون ، وعند الساعة ما تحشرون، ﴿ و لكل نبأ مستقر﴾[100] ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ﴾[101]..ثم التفتت إلى قبر أبيها (ص) ،متمثلة بأبيات صفية بنت عبد المطلب(رض):

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واجتث أهلك مذ غيبت واغتصبوا
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم لما نأيت وحالت دونك الكثب
تهضمتنا رجال واستخف بنا دهر فقد أدركوا فينا الذي طلبوا
قد كنت للخلق نورا يستضاء به عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا فغاب عنا فكل الخير محتجب .....[102]

فقال علي (ع) : إذا كنا كما نحن تعرفون ولا تنكرون ، وشهادتنا لأنفسنا لا تقبل ، وشهادة رسول الله لا تُقبل ، فإنّا لله وانّا اليه راجعون ، إذا ادعينا لأنفسنا تسألنا البيّنة ؟ أفما من معين يُعين ، وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله ، فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بيّنة ولا حجة (وسيعلم الذين ظلموا أيّ مُنقلب ينقلبون) ثم قال لفاطمة(ع): انصرفي حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)[103]، والرواية صريحة وموثقة في كتب الفريقين كما وثقها الشيخ محمد السند حفظه الله في المقامات في مصادر الفريقين، وهي تثبت التشريع السماوي في وجوب مودتها وعدم اغضابها ومخالفتها ،والحقيقة المفزعة كيف يُفعل ذلك بابنة سيد المرسلين وهي تطلب حَقها الشرعي ، وكما قيل : المرءُ يُكرم في ولده، لكنَّها السياسة اللعينة التي حاربت و لازالت تُحارب مبدأ الحق ، وتُعلِّمنا السيدة الزهراء عليها السلام عدم السكوت على الباطل نساءً ورجالاً ، ويجب المطالبة بالحقوق بالمنهج السلمي الواعي.

والأجر الذي أراده الله ورسولهُ بالتأكيد لا يُقاس بالأمور المادية الدنيوية ،بل هو أجر رسالي للعلاقة الوثيقة بينهم وبين الرسالة الالهية المحمدية لما يُشكل أهل البيت(ع) من امتداد لخط الرسالة الاسلامية وصمام أمان للأمة من الانحراف عن النهج والصراط المستقيم الذي خطَّهُ الله للناس، وهم الضمان والأمان لأهل الأرض كما قال المصطفى(ص):(النجوم أمان لأهل السماء... وأهل بيتي أمان لأهل الأرض...)[104]، من التردي في مهاوي الضلالة والوقوع في مستنقعات أئمة الضلال والجور، وهذا لا يتم الا بالتمسك بهم (ع) كما حديث الثقلين:(إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله .. وعترتي أهل بيتي وانهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)[105] وكما قال (ص):(في كلِ خلفٍ من أمتي عدولٍ من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا وإنَّ أئمتكم وفدكم الى الله فانظروا من توفدون)[106].

وحقيقُ أن نقول ونُثبت ذلك بيقينٍ صادق لا يشوبه شكٍ : لا يمكن أن نحافظ على فكرنا الاسلامي حياً قائماً يُعطي ثماراً ناضجاً خالياً من كُلِّ سُقمٍ وعاهةٍ الا إذا سَقيناه وعَجَّناهُ بمودة أهل القربى ،والمودة تعني الولاء المطلق لأهل البيت(ع) والتمسك بهم دون غيرهم ،وهذه هي الحكمة الربانية والقصد السماوي بالمودة لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين،

أخرج أبو نعيم والديلمي عن طريق مجاهد عن ابن عباس (رض): قال :رسول الله (ص) لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى أن تحفظوني في أهل بيتي وتودوهم بي) وفي رواية أخرى: قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم؟ قال(ص): على وفاطمة وولداها)[107]، وعلى هذا فإذا كان أجر الرسالة المودة في القربى! بِمَ نُفَسِّر ما حدث للسيدة الزهراء(ع)بعد رحيل أبيها(ص) من هضم وجسارةٍ وتعدي واحراق بيتها وغصب مالها ؟!!! لكننا نترك ذلك الى محكمة العدل الالهية وعند الله تُجتمع الخصوم.

ثانياً: مقام الطاعة- قال تعالى في محكم كتابه المجيد:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[108]، مما لاشك فيه إنَّ الكتاب المقدس لم يدعُ صغيرة ولا كبيرةً الا أحصاها في امامٍ مبين ،وليس هناك أمراً أكثر خطورةً من قيادة الأمة ، والقيادة الرسالية تصنع للأمة الازدهار والتقدم وتُبعدهم عم واقع التخلف والضياع ، فكيف يدع الأمة بلا قيادة حكيمة دون أن يحددها وينص عليها ،ويبين صفاتهم كما قال تعالى:﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾[109]، وقال:﴿ وجعلناهم منهم أئمة يهدون بأمرنا لمَّا صبروا وكانوا بآيتنا يوقنون﴾[110]، ويتضح من تلك الآيات إنَّ الحكيم الخبير قد حَددَ القيادات الكفُؤة ،وهذا التنصيص صادرٌ منه عزوجل ونسبه الى نفسه كما في قوله(وجعلناهم)و(جعلنا منهم) بيده عزوجل ليس لبشرٍ أن يتخير فيه أو يفرضه بشورى أو بغير شورى لخطورته وعظم شأنه ، ولابُدَّ أن يكون هؤلاء القادة معصومون من الزلل والخطأ كي لا تنحرف الأمة .

روي عن الحسين بن أبي العلاء قال : ذكرت لأبي عبد الله (ع) قولنا في الأوصياء أنَّ طاعتهم مفترضة قال: فقال : نعم، هم الذين قال الله تعالى:(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منك..) وعن معمر بن خلاد قال : سأل رجل فارسي أبا الحسن(الرضا)(ع)قال :(طاعتك مفترضة ؟ فقال(ع) : نعم ، قال : مثل طاعة علي ابن أبي طالب عليه السلام ؟ فقال(ع) : نعم) وأيضاً عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن الأئمة هل يجرون في الأمر والطاعة مجرى واحد ؟ قال : نعم) .[111]

وفي رواية سليم بن قيس الهلالي عن الامام علي(ع) سأل أحدهم رسول الله (ص):(قلت : من هم يا رسول الله ؟ قال : الذين قال الله تعالى فيهم :(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) قلت: يا نبي الله ،من هم ؟ قال: هم الأوصياء بعدي، ولا يتفرقون حتى يردوا علي الحوض ، هادين مهديين ، لا يضرهم كيد من كادهم ، ولا خذلان من خذلهم ، هم مع القرآن ،والقرآن معهم ، لا يفارقونه ولا يفارقهم ، بهم تنتصر أمتي وبهم يمطرون ، وبهم يدفع البلاء ، وبهم يستجاب لهم الدعاء)[112] .

وقد بين الامام الرضا(ع)إنَّ الولاية اختيار الله ورسوله، ويؤكد على ذلك في رواية مفصلة فيقول (ع) :(...فهي في ولد علي (ع) خاصة الى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد (ص) فمن أين يختار هؤلاء الجهال...؟!!)[113]، أما حق الطاعة للسيدة الزهراء(ع) فيجيب عن ذلك حفيدها الامام أبي جعفر الباقر(ع) في سؤال سأله أبي بصير الثقة نأخذ منه ما يخص الطاعة فيقول(ع):(لقد كانت (ع) مفروضة الطاعة على جميع ما خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش ، والأنبياء والملائكة)[114]

وبما إنَّ السيدة الزهراء(ع)هي الحجة على الأئمة الطاهرين (ع) كما قال الامام العسكري(ع):(نحن حجج الله على الخلق وفاطمة الزهراء حجة علينا)[115]، فهي الحجة العظمى والآية الكبرى وهي أحق بالطاعة وأولى بها لما وهبها الله تعالى وميزها عن غيرها من البشر، وعلة تفويضهم لولاية الأمة لإرساء العدالة الاقتصادية والمالية في المجتمع المسلم ،وازالة فحش الطبقية ،ولا تكون الثروة حكراً على فئة من الناس ،قال تعالى :﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾[116] وهذا ما أخبرت به السيدة الزهراء(ع) عندما اغتصب حقَّها واغتصبت الخلافة من أهلها ، وبابتعاد هذا المقام – مقام الطاعة- عن أهله انحرفت الأمة عن مسارها وبدأ التفاوت الطبقي ومُنحت بعض زوجات النبي(ص) مخصصات مالية وبعض رموز السقيفة التي اشتركت في غصب الخلافة دون سائر المسلمين ،بل تعدى الأمر الى التفريق في توزيع العطاء بين المهاجرين والأنصار، وبين العرب والعجم، وساء الأمر أكثر في خلافة عثمان بن عفان حتى انتهى الأمر بمقتله على يد الثوار على الطبقية والتمييز العنصري.[117]

ثالثاً: مقام الأبرار: قال تعالى :﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا* يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا*وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا *إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا*..﴾[118]

اللغة: مزاجها ،طعمها وذوقها ،ويشير هنا الى الاعتدال في الذوق، ومزج الشراب ،خلطه الكافور : الطيب، مستطيرا: أي : ما انتشر حتى كأنه طَارَ .[119]

التحليل : مقام الأبرار من المقامات المحمودة والرفيعة عند الله تعالى ، والآية الكريمة تصف حال الأبرار الذين يشربون من كأس ممزوجة بالكافور والكافور نوع من أشجار الجنة، ثُمَّ وصفت الآية العين التي يشربون منها حيث تتفجر لهم تفجيرا، وصفات هؤلاء الأبرار إنَّهم :

1-يوفون بالنذر 2- يخافون يوم القيامة الذي يكون شره مهولا ومنتشراً في كل مكان.

3- يطعمون الطعام للمساكين واليتامى والأسرى

4- طعامهم لوجه الله خالصاً من غير جزاء ولا شكور.

وقد يسأل سائل من هؤلاء الذين يستحقون كل هذا الفيض الالهي؟ والجواب: اتفق الفريقان على نزول هذه السورة بحق علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، وجاريتهم فضة رضوان الله عليها ،وسبب نزول تلك

الآيات وبقية السورة :عن ابن عباس (رض):(إنَّ الحسن والحسين(ع) مرضا فعادهما رسول الله (ص) في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئ مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معهم شيء فاستقرض على من شمعون الخيبري ؟ اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا ، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد(ص) مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة ، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما ، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي (ع) بيد الحسن والحسين(عليهم السلام) وأقبلوا إلى رسول (ص) فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال : ما أشد ما يسوئني ما أرى بكم ،وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة(ع) في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك ،فنزل جبريل وقال : خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة)[120]

ومن النكت البلاغية التي أشار اليها الزمخشري قوله: إنَّ الله تعالى قد أنزل (هل أتى) في أهل البيت(عليهم السلام)وليس شيء من نعيم الجنة إلا وذكر فيها ،إلا (الحور العين) وذلك إجلالاً لفاطمة عليها السلام ،فإن قلت: ما معنى ذكر الحرير مع الجنة ؟ قلت : المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدى إليه من الجوع والعرى بستاناً فيه مأكل هني وحرير فيه ملبس بهي). [121]

ومن النكت الأخرى التي أشار اليها المفسرون: عن مجاهد في قوله تعالى:(إنما نطعمكم لوجه الله) قال : لم يقولوا حين أطعموهم (نطعمكم لوجه الله) ولكن علمه الله من قلوبهم فأثنى به عليهم ليرغب فيه راغب) وعن أبي إسحاق الزجاج يقول في قوله :(ويطعمون الطعام على حبه) هذه الهاء تعود على الطعام ،و المعنى : يطعمون الطعام أشد ما يكون حاجتهم إليه ، وصفهم الله تعالى بالإثرة على أنفسهم).[122] ،وكأنَّ الزجاج يُريد أن يُبين مقام الايثار في منهج أهل البيت(ع) وهو مقامٌ شريفٌ يدعون المسلمين الى اتباعه.

وهذا من ابداع القرآن الكريم والتفاتاته البلاغية ، التي أراد الله بها التعبير عن عظمة فاطمة الزهراء (ع)، وهذه الآيات الكريمة تبين بشكل واضح إنَّ هؤلاء الأبرار واسطة الفيض الالهي على العباد ، يفيضون العلم والحكمة والنور والهداية، وإنَّ السيدة الزهراء(ع) واسطة فيض ربانية نابعة من الذات المقدسة صَدَّقها كتابه المجيد وشهد عليها رسوله الكريم (ص) وإنَّها هادية مهدية ومن الراسخين في العلم الذين اصطفاهم الله وجعلهم حجة على خلقه وباب من أبواب الرحمة الالهية في أرضه.

رابعا: مقام الخير والبركة: قال تعالى:﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ *فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ *إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[123]

اللغة : قال ابن منظور: الكوثر ههنا الخير الكثير، وقيل القرآن والنبوة وقيل الاسلام والنبوة[124] قال :العاص بن وائل السّهميّ ؛ كان إذا ذكر رسول اللَّه (ص) قال : دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له ، لو قد مات انقطع ذكره واسترحتم منه ، فأنزل اللَّه تعالى في ذلك قوله :(إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَر* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ* إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ)، الكوثر: ماء هو خير من الدنيا وما فيها ؛وقيل :الكوثر: العظيم ، وقيل :الخير الكثير.[125]،وقال ابن الأثير : الكوثر الرجل الكثير العطاء.[126] ، ويبدوا إنَّ أهل اللغة اتفقوا على معنى الخير الكثير بعد رحيل أولاد الرسول الأكرم (ص) الى الرفيق الأعلى .

التحليل : قال الفخر الرازي بقوله : الكوثر أولاده (ص) لأنَّ هذه السورة نزلت رداً على من عابه بعدم الأولاد ، فالمعنى أنَّهُ يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان ، فانظر كم قُتل من أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم ولَم يبقَ من بني أمية في الدنيا أحد يُعبأ به[127].

وروى الدولابي قال:كان القاسم بن رسول الله (ص) قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيب فلما قبضه الله قال : قد أصبح محمد أبتر من ابنه ؟؟ فأنزل الله على نبيه :(إنا أعطيناك الكوثر)- عوضا .. من مصيبتك في القاسم - فصل لربك وانحر إنَّ شانئك هو الأبتر)[128] ، والكوثر هنا واضحة الدلالة هي السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بدليل التقابل في الألفاظ، وإلا لا تكون فائدة من كلمة (الأبتر).

وروى الطبري الشيعي خبر ولادة السيدة الزهراء(ع)وتغسيلها بماء الكوثر وسبب نزول السورة فيها وسُميت بها.[129]

وروى الطبرسي عن ابنِ عبَّاس:(أنَّه فَسَّرَ الكَوْثَرَ بالخَيْرِ الكَثِيرِ ، فَقَالَ لَهُ سَعيدٌ بنُ جُبَيْر : فإنَّ نَاساً يقُولُونَ : هو نهرٌ في الجنَّةِ ، فَقَالَ : هو مِنَ الخَيْرِ الكثير، وقيلَ : هو كَثْرَةُ النَّسْلِ والذِّرِّيةِ ، وقد ظَهَرَ ذلكَ في نَسْلِهِ من وُلْدِ فاطمةَ (ع) ،إذْ لا يَنْحَصِرُ عَدَدُهُم ، وَيَتَّصِلُ - بحَمْدِ اللهِ - إلى آخَرِ الدَّهْرِ مَدَدُهُم ،وهذا يُطابِقُ ما وردَ في سَبَبِ نُزُولِ السُّورةِ :أنَّ العَاصَ بنَ وائِلٍ السَّهمي سَمَّاهُ الأَبْتَرَ لَمَّا تُوفِيَ ابنُهُ عَبدُ اللهِ ،وقَالَتْ قُرَيْشٌ: إنَّ محمَّداً صُنْبُور فيكُونُ تَنْفيساً عن النَّبيِّ (ص) ما وَجَدَهُ في نَفْسِهِ الكبيرةِ من جِهَةِ مَقَالِهِم ، وَهَدْماً لِمَحَالِهِم).[130]

وقد أثبت السيد الطباطبائي(قدس) من خلال الربط بالروايات والسياق القرآني إنَّ المعني بالكوثر هي السيدة فاطمة الزهراء(ع) ، يقول: والجملة لا تخلو من دلالة على إنَّ وُلدَ فاطمة عليها السلام ذريته (ص)، وهذا في نفسه من ملاحم القرآن الكريم فقد كثر الله تعالى نسله بعده كثرة لا يعادلهم فيها أي نسل آخر مع ما نزل عليهم من النوائب وأفنى جموعهم

من المقاتل الذريعة، قوله تعالى:(فصل لربك وانحر) ظاهر السياق في تفريع الامر بالصلاة والنحر على الامتنان في قوله :(إنا أعطيناك الكوثر)).[131]

والدليل على ما أثبته سابقا ما رواه المفضل بن عمر عن أبي عبدالله الصادق(ع) قوله :(.. فلما حملت بفاطمة كانت (ع) تحدثها من بطنها وتصبرها ، وكانت تكتم ذلك من رسول الله (ص) ، فدخل رسول الله (ص) يوما فسمع خديجة تحدث فاطمة (ع) ، فقال لها : يا خديجة ، من تحدثين ؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني ،قال: يا خديجة ، هذا جبرئيل يخبرني أنها أنثى ، وأنها النسلة الطاهرة الميمونة ،وإنَّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها ، وسيجعل من نسلها أئمة ، ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه)[132]

و لفظ الكوثر من الألفاظ المشتركة في المعنى فلها مصاديق كثيرة ومن أجلى مصاديقها السيدة الزهراء عليها السلام بدلالة السياق القرآني ، فهي(ع) كوثر لا ينضب وهي الخير الكثير، والحوض العذب الذي لا يظمأ من سقي من حوضها المبارك ،وعلينا أن نأخذ العبر والدروس من حياتها الحافلة بالجهاد والعلم والزوجة المخلصة ،والقائدة المتعلمة ، وهي أول امرأة في الاسلام خرجت تطالب بحقِّها السليب من قبل النفوس الشحيحة ،فسلامٌ عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيةً.

في الختام لا يمكن الاحاطة بمقامات السيدة الزهراء عليها السلام بتلك الوريقات، إذ كتبت المجلدات الواسعة والموسوعات الكبيرة عن السيدة الزهراء (ع)ولم تفِ بحقها !! لكن نكتف بهذا القدر بالبحث هنا تقديراً للسياقات العلمية ،وتجنباً للإطالة ، وحسب علمي القاصر لم أجد بحثاً أكاديمياً بهذا العنوان ، والله من وراء القصد ،والحمد لله لرَبِّ العالمين .

نتائج البحث

1- تعتبر السيدة الزهراء عليها السلام في فكر أهل البيت وأتباعهم مصطفاة معصومة منزهة من كل نقص أوعيب وهي حجةٌ من حجج الله في أرضه.
2- حازت السيدة الزهراء عليها السلام على مكانةً سامية في نفوس المسلمين بكل أطيافها ، وما تلك الأحاديث الشريفة عند كل الفريقين في فضلها وكرامتها عند الله ورسوله والمؤمنين إلا دليلٌ واضح على مكانتها المقدسة في نفوسهم.
3- إنَّ السيدة الزهراء عليها السلام هي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين بشهادة القرآن والنبي المصطفى وأهل بيته الكرام وعلماء الأمة .
4- إنَّ السيدة الزهراء عليها السلام مقياساً للحق والباطل لأنَّ الله (يرضى لرضاها ويغضب لغضبها) وهي قاعدة نبوية وقانون سماوي ثابت لا يشوبه شك أو نقض فكل من أغضبها فهو من أهل الباطل.
5- حازت(عليها السلام) على المقامين التكويني والتشريعي ، وهذا يدل على مقامها الرفيع عند الذات المقدسة ، وهو مقام لا يناله إلا الصديقون المقربون.
6- لقد اعتمدت في تحديد المقامات على المنهج القرآني حصراً دون التأويل في المقامات الأخرى ،لأنَّ البحث اعتمد ذلك المنهج حتى يتيح للباحث بيان تلك المقامات بصورة دقيقة وواضحة .
7- لقد كانت (ع) نعم الزوجة الصالحة والأم المربية فأنتجت لنا جيلاً صالحا يهتدي به المسلمون
8- لقد كانت(ع) عنصراً للخير والبركة فكانت كوثر الاسلام الذي لم ينضب ، فالجميع ينهل من بحرها العذب حتى صُبت بركاتها في كل مكان في الأرض ،وانتشرت ببركاتها ذرية المصطفى المختار في مشارق الأرض ومغاربها وقد تجاوزت ذريتها الآن أكثر من (450 مليون) فرد متفرقين في كل مكان من الأرض، فسلامٌ عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيةً والحمد لله رِّ العالمين.

الهوامش:

[1] - المسند :3 /197 .
[2] - المستدرك ،النيسابوري:3 /185 ،ورواه بن حنبل في الفضائل :ح 1336 وينظر كشف الغمة ،الإربلي :2 /145 .
[3] - فاطمة الزهراء والفاطميون :7 .
[4] - ظ. كشف الغمة : 2 /143
[5] - اعلام الورى :148 .
[6] - ظ . الاصابة في معرفة الصحابة :8 /262 .
[7] - نساء النبي وأولاده، الشيخ محمد جواد المحتضر :91 .
[8] - بحار الأنوار، المجلسي :43 /185 ،وينظر: سيرة الرسول وأهل بيته ،الشيخ باقر شريف القرشي (رحمه الله) :1 /248 .

[9] - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ،قطب الدين الراوندي :308/2 ،وروى هذه الرواية الشيخ الكليني مع اختلاف في بعض الفاظها :ظ : الكافي :1 ، باب مولد الزهراء (ع):459 .
[10] - ظ . سيرة النبي وأهل بيته الأطهار ،الشيخ باقر شريف القرشي (رحمه الله):1 /208 .
[11] - لسان العرب ،ابن منظور :16 /43.
[12]- معاني الأخبار، الصدوق :64.
[13] - ظ . الاستيعاب ،ابن عبدالبر:752 ، شرح نهج البلاغة ،أبي الحديد :1 /14 ،حلية الأولياء، الاصفهاني:2 /30.
[14] - دلائل الامامة ،الطبري :151، يتغفر : أي كان كالغفرة لها ، وهو ما يغطى به الشيء ، انظر " لسان العرب - غفر - 5 : 26 " ، قرنت : أي كأن الشمس قارنت الغمام وصاحبته ، انظر " لسان العرب - قرن - 13 : 336 " .
، شعر جثل : كثير لين ، أسحم : أسود " أساس البلاغة - جثل - 51 و - سحم - 205 " .
أورد هذين البيتين القالي في أماليه 1 : 227 والسيد المرتضى في أماليه 2 : 97 والثعالبي في الاعجاز والايجاز : 181 ، ونسبوهما لبكر بن النطاح ، وهو شاعر كان في زمن هارون الرشيد جيد القول حسن الشعر ، انظر أخباره في الأغاني 17 : 153 وتأريخ بغداد 7 : 90 .
[15] - ظ .بحار الأنوار، المجلسي :43 -/86 وما بعدها .
[16] - اعلام النساء ،الماوردي:4 /128 وما بعدها وينظر الامامة والسياسة ابن قتيبة :1 /14 .
[17] - ظ .الغدير ،الشيخ الأميني(رحمه الله):7 /191 مصادر الحديث عند الفريقين.
[18] - الزمر /10 .
[19] -الكافي ،الكليني : 1 / 286 ح 1 ، بصائر الدرجات ،الشيخ الصفار : 4 / 228 ، بحار الأنوار،المجلسي:15 /28 ،وينظر :تفسير الصراط المستقيم ،السيد البروجردي:3 /144 ،قال السيد الخوئي (قدس): في ثبوت الحديث القدسي إشكال ولكن لا بأس بجملة من مضامينه لأنّه مطابق للروايات ومضمون ما ذكر لا يبعد استفادته من القرآن الكريم حيث قال تعالى * (وما خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) * فيكون غاية للخلقة، والنبيّ (ص) أفضل العابدين وأولاهم والأمر في الأئمة (عليهم السّلام) كذلك لما ذكرنا ولما ورد في الأحاديث الكثيرة لولاهم لساخت الأرض بأهلها ، والله العالم :صراط النجاة(تعليق الميرزا التبريزي:5 /377 ،ويمكن تأويل الحديث : أي لو لا علي لم يكن لمدينة علمك وحكمتك التي ينتفع بها جميع العالم حتى آدم ومن دونه باب ينتفع به منها ،ولولا فاطمة لما انتفع أحد من ذريتك ومن علومك وآياتك التي جئت بها ،فمن المعلوم إنَّ النبي (ص)أشرف الموجودات وكلّ الموجودات معلولة لوجوده المبارك.
[20] - ظ .الأسرار الفاطمية ،الشيخ محمد فاضل المسعودي:236 .
[21] - ظ . دلائل الامامة، الطبري :27 ،الاسرار الفاطمية :37 .
[22] - علل الشرائع ،الصدوق :1 /180 الدر النظيم، يوسف بن حاتم الشامي:456 .
[23] - دلائل الامامة ،الطبري :66.
[24] - ظ. عيون أخبار الرضا(ع)،الشيخ الصدوق :2 /14 .
[25] -. ظ .الولاية التكوينية حقيقتها ومظهرها ،محاضرات السيد كمال الحيدري، بقلم: الشيخ علي حمود العبادي،22 ، https://www.almaaref.org/maarefdetails.php.
[26] - البقرة /124 .
[27] - ظ .الولاية التكوينية حقيقتها ومظهرها ،محاضرات السيد كمال الحيدري، بقلم: الشيخ علي حمود العبادي،21 .
[28] - آل عمران /49 .
[29] - سورة آل عمران /42 .
[30] - دلائل الامامة ،باب فاطمة الزهراء(ع) ،حديث 58 /149 .
[31] - تفسير العياشي :196/1 .
[32] - ظ .المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني :283 .
[33] - التبيان في تفسير القرآن:2 /456 .
[34] - البقرة /132.
[35] آل عمران /42 .
[36] - الأعراف /144 .
[37] - الأحزاب /21 .
[38] - ص /46 -47 .
[39] - البقرة /247 .
[40] - ظ . مجمع البيان :2 /290 ،التفسير الكاشف :2 /55 .
[41] - تفسير الميزان :3 /188 .
[42] - دلائل الامامة ،باب فاطمة الزهراء (ع) ح58 :149 .
[43] - البقرة : 122
[44] - الأعراف /140 .
[45] - الجاثية /16 .
[46] - الدخان /32 .
[47] - آل عمران /110 .
[48] - البقرة /143 .

[49] - ظ . مقامات فاطمة الزهراء(ع) في الكتاب والسنة ،السيد محمد علي الحلو ،السيد محمد صالح الموسوي التبريزي:49 -51 .
[50] - آل عمران /45 .
[51] - علل الشرائع ،الشيخ الصدوق :183 .
[52] - ظ. ، ارشاد القلوب ، الحسن بن محمد الديلمي (ت: ق :8):2 /232 ، وينظر :بحار الأنوار ،الشيخ المجلسي :43 /20 .
[53] - الوراثة الاصطفائية ، تقريرات لأبحاث الشيخ محمد السند (حفظه الله)، بقلم محمد صالح الموسوي :28 ، والرواية في : المستدرك على الصحيحين ، النيسابوري :3 /145 ،ميزان الاعتدال ،الذهبي :1 /535 .
[54] - سورة آل عمران /61 .
[55] - تفسير غريب القرآن ، الشيخ فخر الدين الطريحي.
[56] - تفسير آية المباهلة ،السيد علي الحسيني :11 .
[57] - ظ . أسباب النزول ،الواحدي :68، شواهد التنزيل ،الحسكاني :1 /155 . العجاب في بيان الأسباب ،ابن حجر العسقلاني :2 /684 .
[58] - آل عمران /33-34 .
[59] - النساء /54 ، قال الامام الباقر (ع) :(نحن الناس ..) ظ . عيون أخبار الرضا(ع):1 /209 .
[60] - النساء /59 .
[61] - الشعراء /214 .
[62] - الأحزاب /33 .
[63] - آل عمران /61 .
[64] - عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ الصدوق:1 /210 ، بني وليعة : حي من كنده هامش المصدر.
[65] - النساء /54 .
[66] - ظ , عيون أخبار الرضا (ع):1 /209 .
[67] - الأسرار الفاطمية ،الشيخ فاضل المسعودي :37 .
[68] - بحار الأنوار ،الشيخ المجلسي :53 /180 .
[69] - مطالب السؤول :7 .
[70] - تحف العقول ،الحراني :171 .
[71] - الأحزاب /33 .
[72] - لسان العرب ، ابن منظور ، مادة رجس :6 /94 ،وينظر :الوافي في شرح الكافي ، الفيض الكاشاني :2 /255 .
[73] - المائدة /67 .
[74] - هود /42 -43 .
[75] - ظ. أصول العقيدة ، السيد محمد سعيد الحكيم(طاب ثراه):199 – 205 .
[76] - الكافي :287/1 .، قال الالباني في الحديث :صحيح ،ظ . سنن الترمذي :5 /699 .
[77] - ينابيع المودة :204 ، وينظر :صحيح مسلم :2 /915 ح 6288 . والآية :طه /132 .
[78] - ظ .تاريخ الطبري:5 /314 ، الامامة والسياسة :1 /226 ، مختصر تاريخ دمشق :7 /210 ،والرواية أعلاه عن : تأويل الآيات الظاهرة :449 ، تفسير البرهان :3 /312 ح14 . الحريرة : قطعة قماش فيها طعام .
[79] - تاريخ ابن أعثم الكوفي :5 /55 ، وينظر الجهود التفسيرية عند الامام الحسين (ع) ، المؤلف:269 – 274 تفصيل كامل لهذه الرواية .
[80] - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم :6 /302 .
[81] - أسباب النزول :239 .
[82] - الفتاوى الكبرى:5 /231 .
[83] - ظ. المستدرك على الصحيحين ، النيسابوري:3 /171 ،173 ، ومن أراد التوسعة .ينظر : الجهود التفسيرية عند الامام الحسين (ع)، المؤلف:272 وما بعدها.
[84] - الانسان /3 .
[85] - الكهف /29 .
[86] - ظ .الولاية التكوينية حقيقتها ومظهرها ،محاضرات السيد كمال الحيدري، بقلم: الشيخ علي حمود العبادي،22 .
[87] - الشورى /23 .
[88] - المحاسن :1 /144 .
[89] - شواهد التنزيل:2 /143 .
[90] - الكافي :93/8 .
[91] - ظ . صحيح البخاري :2 /503 ح4818 .
[92] - الاحزاب /6 .
[93] - الشعراء/23 .
[94] - الأمالي ،الشيخ الطوسي :655 ، والآيات على التوالي : المائدة /3 ، الشورى /23 .
[95] - الاسراء /26 .
[96] - عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق:1 /211 ، وقد أرجعها المأمون العباسي في عصره الى ولد فاطمة عليها السلام ،ثم اغتصبت مرة أخرى ،انظر : فدك في التاريخ ، السيد محمد باقر الصدر (قدس) .

[97] - ظ . مجمع البيان ،الطبرسي :6 /243 .
[98] - المصدر نفسه والصفحة .
[99] - مرحولة : من الرحل وهو مركب للبعير والناقة ، " لسان العرب، ابن منظور ، مادة رحل - 11 : 274 " ، مزمومة : من الزمام وهو الخيط الذي يشد في البرة أو في الخشاش ثم يشد في طرفي المقود :ظ . لسان العرب - زمم - 12 : 272.
[100] - الانعام /67 .
[101] - هود /39 .
[102] - ظ . دلائل الامامة ،محمد بن جرير الطبري :118 ، الهنبثة : الأمور الشداد ، والاختلاط في القول " النهاية - هنبث - 5 : 278 .
[103] - ظ . بحار الأنوار ، الشيخ المجلسي :29 /195 ، مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام في الكتاب والسنة ، الشيخ محمد السند :161 .
[104] - معاني الأخبار ،الشيخ الصدوق :34 .
[105] - مسند أحمد بن حنبل :3 /14 ،وينظر :صحيح مسلم :7 /123 بيان من أهل البيت(ع).
[106] - الصواعق المحرقة، ابن حجر :150 .
[107] - الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي :6 /7 .
[108] - النساء /59 .
[109] - الأنبياء /73 .
[110] - السجدة /24 .
[111] - الكافي ،الشيخ الكليني ، باب فرض طاعة الأئمة :1 /187 .
[112] - ظ .الاعتقادات في دين الامامية ، الشيخ الصدوق :122 .
[113] - ظ . عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق :1 /197 .
[114] دلائل الامامة ،الطبري :27 ، وينظر تفصيل الرواية .
[115] - ظ . الأسرار الفاطمية ،الشيخ فاضل المسعودي :37 .
[116] - الحشر /7 .
[117] - ظ . الطبقات ،ابن سعد :3 /219 ، وينظر : مقامات فاطمة الزهراء(ع):162 .
[118] - سورة الانسان (هل أتى)/5 – 9 .
[119] - المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني :467 ،و 529 .
[120] - الكشاف ، الزمخشري :197 .
[121] - الكشاف /198 .
[122] - شواهد التنزيل ،الحسكاني :2 /407 .
[123] - الكوثر/1 -3)
[124] - لسان العرب:3 /133 مادة (ك)
[125] - نهاب الأرب في فنون الأدب ،النويري:16 /270 .
[126] - النهاية في غريب الحديث :4 /208 .
[127] - تفسير الرازي:16 /18 .
[128] - الذرية الطاهرة ،محمد بن أحمد الدولابي:67 .
[129] - دلائل الامامة ، محمد بن جرير:78، روضة الواعظين ،الفتال النيسابوري:144 .
[130] - ظ .تفسير جوامع الجامع :3 /856 .
[131] - تفسير الميزان :20 /371 .
[132] - الأمالي ،الصدوق :691 .

المصادر والمراجع :

* القرآن الكريم.
1.إرشاد القلوب, الديلمي, الحسن بن أبي الحسن (من أعلام القرن الثامن الهجري) تح: مؤسسة أهل البيت(عليه السلام) لإحياء التراث, قم, ط , 1408هـ.
2.أسباب النزول، الواحدي، (ت:468هـ)،بيروت ،دار الكتب العلمية، ط1411،1 هـ.
3.الاستيعاب في معرفة الأصحاب, ابن عبد البر, تح: محمد علي بيجاوي, مطبعة نهضة مصر, مطبعة دار إحياء التراث العربي, بيرون, لبنان, ط2, 1422هـ-2001م.
4.الإصابة في تمييز الصحابة, العسقلاني, الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ) تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود— الشيخ علي محمد معوض, تقديم د. محمد عبد المنعم البري,دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 1415هـ-1995م
5.أصول العقيدة ،السيد محمد سعيد الحكيم (قدس)،مؤسسة الحكمة ،النجف الاشرف، ط3، 1431 هـ _ 2010 م.
6.الاعتقادات في دين الأمامية, الصدوق, الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي, تح: عصام السيد, إعداد: مركز الأبحاث العقائدية, بلا ت. ط, قم.

7.أعلام الورى, الطبرسي, أبو علي الفضل بن الحسن تح: مؤسسة أهل البيت(عليهم السلام) مطبعة إحياء التراث العربي, ط1, 1417هـ-1996م.
8.الأمالي ،الشيخ الصدوق (ت 381) ،تح : مؤسسة البعثة – قم ،ط 1 ، 1417 هـ.
9.الأمالي, الطوسي (رض) شيخ الطائفة (ت385هـ-460م)تح: قسم الدراسات الإسلامية, مؤسسة البعثة للطباعة والنشر, ط1, 1414هـ, دار الثقافة, قم.
10.الإمامة والسياسة, ابن قتيبة, أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري, (ت276هـ) تح: طه محمد الزيني مصر, مؤسسة الحلبي وشركاءه.
11.الأمثل في تفسير الكتاب المنزل ،الشيرازي، الشيخ ناصر بن مكارم،بيروت،ط2، 2002م.
12.بحار الأنوار، المجلسي، الشيخ محمد باقر(ت1111هـ) ط2 المصححة ،بيروت،1983م.
13.بصائر الدرجات, الصفار, أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ القمي (ت290هـ), مكتبة آية الله المرعشي النجفي, قم المشرفة, 1606هـ.
14.تاريخ ابن أعثم الكوفي (كتاب الفتوح), العلامة أبي محمد احمد بن أعثم, (ت314هـ-926م) تح: علي الشيري, دار الأضواء , بيروت, لبنان, ط1, 1411هـ-1991م
15.تاريخ الطبري, (تاريخ الأمم والملوك) أبي جعفر محمد بن جرير (ت310هـ) تح: نخبة من العلماء, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت, لبنان, بلا ت, ط.
16.التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي (رحمه الله)، (ت 460هـ) دار الفكر، بيروت.0
17.تحف العقول عن آل الرسول ،الحراني ،أبي شعبة، النجف الأشرف ، ط4،بلا ت ط.
18.تفسير العياشي ،أبي النصر محمد بن مسعود السلمي، بيروت ،ط1411،1 هـ - 1991م.
19.التفسير الكاشف ،ابن مغنية ،الشيخ محمد جواد (رحمه الله) بيروت ،ط 2003،1 م .
20.التفسير الكبير ،الفخر الرازي ،(ت : 606 هـ) ط 3 ، بلا ت ط .
21.تفسير جوامع الجامع, الطبرسي (ت548-) مؤسسة النشر الإسلامي, قم المشرفة, ط1, 1418هـ.
22.الجهود التفسيرية عند الامام الحسين (ع) دراسة تحليلية، الشويلي ،د .عبدالحسين راشد معارج، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة،ط1 ،1436 هـ- 2015م .
23.حلية الأولياء, الأصفهاني, أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت630هـ), دار الكتب العربية, بيروت, 1387هـ.
24.الدر المنثور في التفسير بالمأثور, السيوطي, جلال الدين (ت911هـ), دار الفكر, بيروت, ط1, 1403هـ.
25.دلائل الامامة محمد بن جرير الطبري (الشيعي (ت: ق 4 الهجري) تح : قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة – قم ط: الأولى سنة الطبع : 1413الناشر : مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة .
26.الذرية الطاهرة النبوية ،المؤلف : محمد بن أحمد الدولابي ،الوفاة: 310، المجموعة: مصادر الحديث السنية ـ القسم العام تح : سعد المبارك الحسن ،الطبعة : الأولى سنة الطبع : 1407 : الدار السلفية – الكويت
27.روضة الواعظين، الفتال النيسابوري (ت : 508 هـ) تح: تقديم : السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان الناشر : منشورات الشريف الرضي - قم
28 .سنن الترمذي ،الحافظ محمد بن عيسى (ت:279هـ)،بيروت ،ط2 ،1403هـ- 1983م.
29.شرح نهج البلاغة ،المعتزلي ،أبي الحديد ،بيروت،ط1 ،2007م.
30.شواهد التنزيل لقواعد التفضيل, الحسكاني (من أعلام القرن الخامس الهجري) تح: الشيخ محمد باقر المحمدي, مؤسسة الأعلمي, بيروت, ط2, 1431هـ-2010م.
31.صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت256هـ)، تح محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
32.صحيح مسلم ،النيسابوري(261هـ)،دار الفكر ،بيروت ،بلا ،ت ،ط .
33.الصواعق المحرقة، ابن حجر، أحمد بن حجر الهيثمي المكي (ت974هـ)، ط3، 1965، مصر القاهرة.
34.الطبقات الكبرى, محمد بن سعد (ت230هـ) دار صادر, بيروت, بلا ت.ط.
35.العجاب في بيان الأسباب ،ابن حجر العسقلاني ،(ت : 852) تح: عبد الحكيم محمد الأنيس ط: الأولى 1418 - 1997م ،السعودية - دار ابن الجوزي .
36.علل الشرائع، الصدوق ،تقديم :السيد محمد صادق بحر العلوم ،بغداد ،1980م.
37.عيون أخبار الرضا(ع)،الصدوق، قم المقدسة ،ط1427،1هـ.
38.فاطمة الزهراء(ع) والفاطميون، العقاد ،د .عباس محمود العقاد ، دار الشعب ،القاهرة ،1990 م.
39.الكافي، الشيخ الكليني (رحمه الله) أبي جعفر محمد بن يعقوب الرازي (ت:328هـ)، طهران ،ط5 ،1363 هـ . ش .
40.الكشاف(تفسير الزمخشري) ،الزمخشري(ت:538هـ)،بيروت،ط3، 1422هـ.
41.كشف الغمة , الإربلي, أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (625هـ-692هـ) المجمع العلمي لأهل البيت(عليهم السلام), دار التعارف, بيروت, ط1, 1433هـ-2012م.
42.لسان العرب ، ابن منظور ت 711محرم 1405 ،الناشر : نشر أدب الحوزة.
43.مجمع البيان في تفسير القرآن ،الشيخ الطبرسي (ت:548 هـ) بيروت ، ط1406،1هـ.
44.المستدرك على الصحيحين, النيسابوري, الحافظ أبي عبد الله الحاكم (ت405هـ), تح: مصطفى عبد القادر عطا, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1990م.
45.مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل (ت241هـ)، المسند، تح شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين تحت إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ-2001م.
46.مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني ، تح :صفوان الداودي، دار القلم ،ط1 ، 1412هجري.

47.المفردات في غريب القرآن ،الراغب الأصفهاني(503هـ)،بيروت ،1392هـ.
48 – مقامات فاطمة الزهراء(ع) في الكتاب والسنة، محاضرات الشيخ محمد السند(حفظه الله ، بقلم : السيد محمد علي الحلو ،السيد محمد صالح الموسوي، بيروت ،ط1 ،2012 م .
49.منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : قطب الدين الراوندي (ت: 573 هـ) مصادر الحديث السنية ـ القسم العام، تحقيق : السيد عبد اللطيف الكوهكمري ، 1406 المطبعة : الخيام – قم ،الناشر : مكتبة آية الله المرعشي العامة – قم من مخطوطات مكتبة آية الله المرعشي العامة (14)
50.الميزان في تفسير القرآن ،السيد الطباطبائي(قدس)(ت:1412هـ) قم المقدسة .
51.النهاية في غريب الحديث والأثر ،مجد الدين ابن الأثير ت606 تحقيق : محمود محمد الطناحي الطبعة : الرابعة سنة الطبع : 1364 ش الناشر : مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم - ايران
52.الولاية التكوينية حقيقتها ومظهرها، محاضرات السيد كمال الحيدري، بقلم الشيخ علي حمود العبادي ،دار فرقد ، ط2 ،2011م ،قم ، ايران.
53.ينابيع المودة, القندوزي, الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفي (1220هـ-1294هـ), تح: سيد علي جمال أشرف الحسني, دار الأسوة للطباعة والنشر, ط1, 1416هـ.